الحدث

مفاوضات الساعات الأخيرة في اتفاق تحرير الجرود الترحيل في مقابل إستعادة الأسرى الشهداء والأحياء
مخيم عين الحلوة غير قابل للتفاوض

اللواء إبراهيم: إنه الخروج الكبير

الخميس 3 آب انتهى الفصل الاخير في اتفاق تحرير جرود عرسال من احتلال جبهة النصرة، ونُظّفت تماما من كل اثر للتنظيم الارهابي، في اليوم الرابع عشر لحرب الجرود في 21 تموز، واليوم الثامن لوقف النار ومباشرة تفاوض تولاه المدير العام للامن العام اللواء عباس ابراهيم الذي وصف ترحيل مسلحي النصرة بأنه "الخروج الكبير" الذي قاد الى تحرير تلك البقعة من الحدود الشرقية اللبنانية، بالتزامن مع استعادة حزب الله اسراه الشهداء والاحياء

الخامسة بعد ظهر الاربعاء 2 آب انطلقت الحافلة السورية الاخيرة من 113 من وادي حميد في عرسال، يجرجر راكبوها المسلحون الـ120 المنتمون الى جبهة النصرة، بينهم قائدهم ابومالك التلي، اذيال الهزيمة بعد حرب الجرود التي قادها حزب الله في 21 تموز لتصفية وجود التنظيم الارهابي في هذا الجزء من السلسلة الشرقية من الاراضي اللبنانية. كان في عداد الحافلات 4810 من عائلات المسلحين ونازحين سوريين آخرين رغبوا في الالتحاق بالقافلة المغادرة الى ادلب، اليهم ثلاثة جرحى من المسلحين، كي تكرّس هذه اللحظات تصفية آخر وجود لجبهة النصرة على الاراضي اللبنانية.
في اشراف الامن العام والصليب الاحمر اللبناني، توجهت الحافلات الى جرود فليطا، في طريقها الى ادلب، فيكون بذلك انتهى شريط طويل من الوقائع رافق حرب الجرود التي بدأت في 21 تموز لتحريرها من النصرة، وتوقفت في اليوم السادس، 27 تموز، بناء على طلب التنظيم الارهابي الذي اعلن الاستسلام ورغب في عقد اتفاق مع حزب الله لمغادرة الجرود اللبنانية.
على مر الايام التالية بدأت مفاوضات التحضير لاتفاق الترحيل بين حزب الله وجبهة النصرة تولاها المدير العام للامن العام اللواء عباس ابراهيم بتكليف من السلطات اللبنانية، افضت الى وضع اتفاق بدأ تنفيذ اولى مراحله الاثنين 31 تموز، ثم بلغ ذروة العرقلة اليوم التالي في محطته الثانية كي تؤول الساعات القليلة من بعد ظهر ذلك اليوم الى اتخاذ المفاوض اللبناني قرارا حاسما بانجاز ما تبقى من الاتفاق او ترك لعبة النار تأخذ مجراها.
للفور منذ منتصف ليل الاول من آب حتى ساعات صباح اليوم التالي تدحرجت كرة تطبيق البنود التالية كي تنتهي في الخامسة بعد ظهر 2 آب بانجاز الاتفاق الذي آل الى الحصيلة الآتية: استعادة حزب الله رفات خمسة شهداء وتحرير ثمانية اسرى، في مقابل تسليم النصرة جثث تسعة من مسلحيها وترحيل 4810 نازحين سوريين بعدما كان سجّل قرابة عشرة آلاف منهم اسماءهم لدى الامن العام مبدين رغبتهم في الالتحاق بالمسلحين الارهابيين المغادرين في العملية التي اطلق عليها اللواء ابراهيم اسم "الخروج الكبير". على ان صفحة احتلال الجرود طويت نهائيا بعد ظهر الخميس 3 آب عندما عاد الى لبنان الاسرى الخمسة لحزب الله بالتزامن مع دخول حافلات الترحيل الى ادلب.
بناء على طلب من السلطات الرسمية اللبنانية، تولى اللواء ابراهيم عقد الاتفاق بين حزب الله والنصرة التي ناطت بدورها بمَن يتولى المفاوضة غير المباشرة عنها مع المدير العام للامن العام الذي عمل على التنسيق مع سوريا، المعنية باكثر من شق في الاتفاق، خصوصا وان الحافلات التي اقلت المسلحين الارهابيين سورية، وطريقها تسلك الاراضي السورية الواقعة تحت سلطة الحكومة السورية وصولا الى ادلب، ما عنى ان دمشق كانت شريكا في عقد الاتفاق كما في تطبيقه، على نحو مماثل للمعركة التي قادها جيشها وحزب الله للقضاء على التنظيم الارهابي في المقلب الآخر من جرود عرسال في الاراضي السورية.
اول غيث الاتفاق كان اعلان وقف للنار في جرود عرسال، بعدما تمكنت المقاومة من السيطرة على معظم المناطق التي احتلها التنظيم الارهابي ما خلا بقعة صغيرة بالكاد تنطوي على خمسة كيلومترات في وادي حميد ومدينة الملاهي، حوصر وقائده ابومالك التلي فيها، فجهرا بطلب وقف النار ومغادرة المكان.
كشف الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله عبر التلفزيون مساء الخميس 27 تموز عن "جهة رسمية لبنانية" تتولى التفاوض على الاتفاق، قبل ان يُكشف في الغداة عن ان المفاوض هو المدير العام للامن العام في رابعة مهمات شائكة نيطت به ـ للمفارقة انها مع النصرة بالذات فيها كلها ـ بعد اطلاق مخطوفي اعزاز (2013) وراهبات دير سيدة معلولا (2014) واطلاق العسكريين اللبنانيين (2016).
على ان قرار التفويض كان عشية ذلك الخميس، 26 تموز، عندما تبلغ اللواء ابراهيم من المسؤولين تكليفه التفاوض غير المباشر مع جبهة النصرة لاخراج مسلحيها من الجرود وحقن الدماء في الحرب الدائرة. للفور باشر المهمة الجديدة وتوصل بداية الى العنوان الاول للاتفاق وهو وقف النار، على ان يصير في الساعات التالية بعد التحقق من نفاذه الجدي الى الخوض في بنود الاتفاق الذي تضمن تباعا اربع مراحل:

- اولى تثبيت وقف النار.
- ثانية تبادل الجثامين والجثث بين الطرفين.
- ثالثة تبادل الاسرى. لم يكن هذا الشق مطروحا في بداية التفاوض قبل ان يضل ثلاثة من مقاتلي المقاومة طريقهم في الجرود فوقعوا في قبضة مسلحي النصرة التي ادخلتهم في دائرة التفاوض والمقايضة.
- رابعة واخيرة ترحيل مسلحي التنظيم الارهابي ومن يرغب من عائلاتهم ومن النازحين السوريين في مخيمات عرسال بالتزامن مع اطلاق خمسة اسرى لحزب الله.

منذ البداية كان ثمة اصرار لبناني على استعادة جثامين خمسة شهداء لحزب الله لدى جبهة النصرة، ثلاثة منهم سقطوا في معارك تعود الى سنتين خلتا واثنان في الحرب الاخيرة. بازاء هذا الاصرار لم تكن النصرة مبالية بالتبادل، وفي كل مرة طرح المفاوض اللبناني هذا العنوان تجاهلته، وذهبت الى عناوين اخرى في الاتفاق ما اوقف المفاوضات ـ وهي لما تزل في اليوم الاول ـ 24 ساعة. في هذه الغضون تمكن مسلحوها من اسر المقاومين الثلاثة الذين ضلوا الطريق في وادي حميد. مذذاك بدأت النصرة تلوح بثمن لاطلاق الاسرى الثلاثة الجدد، ناهيك باحتفاظها من قبل بخمسة اسرى آخرين، الى مطالبتها بثمن آخر لقاء تسليم جثامين المقاومين الخمسة.
تنبه المفاوض اللبناني لهذه الخطوة التي وشت بكلفة باهظة ستترتب على الجانب اللبناني تسديدها في مقابل خمسة جثامين وثمانية اسرى. رفض الرضوخ وفصل ما بين الامرين على نحو يجزىء بنود الاتفاق تحت طائلة وقف التنفيذ: يتم اولا تبادل جثامين الاسرى الشهداء لدى النصرة بجثث مسلحيها لدى حزب الله، على ان يصير لاحقا الى تبادل الاسرى الاحياء. اموات في مقابل اموات، واحياء في مقابل احياء. بذلك يُجزأ الاتفاق الى مراحل متدرجة متتالية. تطلّب الامر 24 ساعة كي يقتنع مفاوض النصرة بالتجزئة، فتم التفاهم على تبادل تسع جثث للنصرة في مقابل الجثامين الخمسة للمقاومين. الا ان النصرة اجتهدت في تفسير الاتفاق وطمعت في الحصول على مزيد من الجثث لدى حزب الله، من بينها اربع لمسلحي سرايا احرار الشام، ورمت من طلب ضم هؤلاء ـ مع انهم من فصيل ارهابي آخر ـ الى محاولة اظهار حصولها على مكاسب اضافية، تاليا القول باستعادة 13 جثة، ترفع معنويات مسلحيها الذين يتحضرون للرحيل من جهة، وكي تمنن الفصيل الآخر باستعادتها جثث مسلحيه في مقابل خمسة جثامين لحزب الله.
في ذلك الوقت تحدثت سرايا احرار الشام الى حزب الله حيال الجثث الاربع، ونالت وعدا منه بتسليمها اياها. رفض اللواء ابراهيم تسليم الجثث الاربع في ذلك التوقيت واصر على الحزب الاحتفاظ بها الى وقت لاحق، على نحو منفصل عن الاتفاق مع النصرة وفي معزل عنه، الى ان صار الى تسليمها اليها ليل الثلثاء الاول من آب، على ان يعقب ذلك في ما بعد، ترحيل ثلاثة آلاف من مسلحيها من جرود عرسال. انتقل التفاوض الى المرحلة الثانية وهي استعادة اسرى حزب الله لدى النصرة. هنا وقعت طامة

كبرى. ما ان بدأ التفاوض بعد ظهر الاثنين على الاسرى الاحياء، تلقى اللواء ابراهيم مكالمة هاتفية من مسؤول وحدة الارتباط والتنسيق في حزب الله وفيق صفا يخطره بأن "الشباب"، ثلاثة مقاومين، دخلوا خطأً الى الجهازية الخاصة بالنصرة في وادي حميد.

قال: لدي خبر سيء لك.

استفسر، فاجابه: اسروا ثلاثة مقاومين لنا اضاعوا الطريق، واصبحوا لدى ابومالك التلي. هذا كل ما استطيع قوله لك.

اجاب: لا تقلق سوف نستعيدهم.

في هذه المرحلة من التفاوض طرحت النصرة شروطا مقبولة اولها لائحة من 18 مطلوبا من سجن رومية. طلبت اطلاق خمسة فقط من لائحة الـ18. وافق اللواء ابراهيم على مبادلة هؤلاء بالمقاومين الثلاثة الاسرى. تبين له من لائحة الـ18 من المطلوبين الموقوفين في سجن رومية ان خمسة اسماء اصحابها غير محكومين. باشر التفاوض على الاسماء الخمسة التي حددتها. طلب من النصرة ترتيبها تبعاً للاولوية التي تفاضل في ما بينها. عندما تلقى منها ترتيبهم، وافق على تسليمها الموقوفين الثالث والرابع والخامس فقط دون الموقوفين الاولين، نظراً الى تكشّف اهميتهم الدنيا عن الاولين تبعا لهذا الترتيب الذي افصح عن مكانتهم في التنظيم الارهابي. قامت قيامة النصرة ورفضت قرار المفاوض اللبناني الذي اصر عليه بالقول: وفيت بما وعدت به، وهي الاسماء الثلاثة التي اختارتها هي، سوى ذلك اخرج من التفاوض وما عليها عندئذ سوى البحث عن مفاوض آخر.

كان قد اتى بالموقوفين الثلاثة هؤلاء الى نظارة الامن العام وانتظروا نتيجة التفاوض. توقف التواصل مع مفاوض النصرة ست ساعات. على الاثر اتى الى اللواء ابراهيم جواب طلب تسليمهم اثنين سوى المدرجين في لائحة الخمسة، فرفض. جُمّد التفاوض عند هذا الحد بسبب الرفض المتبادل. ابان ذلك طلب من الامن العام اصطحاب الموقوفين الثلاثة الى اللبوة عبر موكب امني كبير لم يخلُ من الاستعراض للايحاء بأنهم في طريقهم الي التنظيم الارهابي المتمركز في وادي حميد. علمت النصرة بوصولهم الى اللبوة، وبات الثلاثة على مسافة قريبة منها، ما يعجّل في التفاوض من ضمن رقعة جغرافية باتت ضيقة، والثلاثة كادوا ان يصيروا في متناولها كي تتسلمهم. تواصل مفاوض النصرة مع المفاوض اللبناني وسأله عن عدد الموقوفين الذين احضروا، فاجابه: الثلاثة الذين وعدت بهم، لا عرض سواهم.

الثلاثة الذين اختارهم المفاوض اللبناني من الموقوفين في سجن رومية لتسليمهم الى الطرف الآخر هم: عبد الغني شروف الموقوف بجرم الانتماء الى تنظيم ارهابي، وعبد الرحمن زكريا الحسن المحكوم بجرم تجارة المخدرات وملاحق بمذكرة توقيف لارتباطه بالنصرة. اما ثالثهما فالسوري عدنان محمد الصليبي الذي انهى محكوميته وكان سلّم في 27 تموز الى الامن العام لترحيله إلى سوريا بعدما أوقف في تشرين الاول 2016 بتهمة الانتماء الى النصرة، من غير ان يثبت ضلوعه في اي عمل ارهابي، فنال حكما مخففا.

هدد اللواء ابراهيم باعادة الموقوفين الثلاثة الى بيروت خلال ساعات ما لم يوافقوا على تسلمهم. طلب المفاوض الانتظار وابقاء الموقوفين في اللبوة، وباشر اتصالاته قبل ان يبلغ الى اللواء ابراهيم مزيدا من المطالب منها الحصول على الجثث الاربع لسرايا اهل الشام واطلاق فلسطينيين وسوريين ولبنانيين من مخيم عين الحلوة.

كان جواب اللواء ابراهيم: مخيم عين الحلوة غير قابل للبحث. لا اسلّم مطلوبين لبنانيين وهو امر غير وارد، لاسيما منهم اولئك الملطخة ايديهم بدم اللبنانيين والجيش، سواء كانوا لبنانيين او سوريين او فلسطينيين.

كان في لائحة النصرة من مخيم عين الحلوة 50 اسما مطلوبا مع عائلاتهم، بينهم 16 لبنانياً و34 سورياً وفلسطينياً .

جواب اللواء ابراهيم: 50 شخصا مع عائلاتهم يعني تقريباً 500. لا تفكروا في تسلّم لبنانيين من عين الحلوة، ولا سوريين لأن سوريا معنية ايضا بالاتفاق وتنفيذ مراحله التي تمر في الاراضي السورية ويتطلب الامر موافقتها. وفي معزل عن موافقتها او عدم موافقتها، فإن الامر سيستغرق وقتا اضافيا وربما اكثر من شهر. اي تعديل في الاتفاق يقتضي نيل موافقة سوريا عليه.

طرح مفاوض النصرة تسليمها اللبنانيين المطلوبين الـ16 شخصا في مخيم عين الحلوة اولهم شادي المولوي، تبيّن انهم من انصارها والعاملين في صفوفها. رد اللواء ابراهيم برفض قاطع، وابلغ الى رئيس الجمهورية ميشال عون ورئيس الحكومة سعد الحريري رفض تسليم مطلوبين لبنانيين على رأسهم شادي المولوي، نظرا الى تداعيات هذا الاجراء على الداخل اللبناني وعلى المؤسسة العسكرية بالذات.

اطلق رئيس الحكومة يد المفاوض اللبناني في قرار رفض تسليم المطلوبين اللبنانيين، قائلا له: افعل ما تراه مناسبا.

كان اللواء ابراهيم كشف في الساعات الاخيرة من تنفيذ الاتفاق ان رئيس الحكومة كان اول مَن سارع الى الطلب منه التفاوض على انهاء حرب الجرود.

اوصد اللواء ابراهيم عندئذ الباب نهائياً في مسألة الخوض في ما يتعلق بمخيم عين الحلوة الذي له ظروفه وتعقيداته ومشاكله في الداخل ومع السلطة اللبنانية.

كان لحزب الله موقف مماثل برفض تسليم مطلوبين لبنانيين الى النصرة نظرا الى مس مطلب كهذا السيادة الوطنية، تبلغه اللواء ابراهيم من الامين العام السيد حسن نصرالله: لا تسليم للبنانيين ولا تسليم لشادي المولوي.

الأسرى الشهداء والأحياء

- **جثامين الاسرى الخمسة لحزب الله الذين سلموا في اليوم الاول من تنفيذ اتفاق الجرود هم: حسن علي شريف، جهجاه محمد جعفر، مصطفى المقدم، احمد الحاج حسن، قاسم العجمي.**
- **الاسرى الثلاثة لحزب الله الذين اُطلقوا في اليوم الثاني من تنفيذ الاتفاق هم: شادي حافظ زحيم، حمد محمود حرب، حسام حسين الفقيه.**
- **الاسرى الخمسة لحزب الله الذين اطلقوا في اليوم الاخير من تنفيذ الاتفاق هم: حسن نزيه طه، محمد مهدي هاني شعيب، موسى كوراني، محمد جواد علي ياسين، احمد مزهر.**

نقل المفاوض اللبناني الموقف الى مفاوض النصرة، فرد بالاصرار على لائحة عين الحلوة. جواب اللواء ابراهيم ان ارسل اليه رسالة نصية عبر الهاتف الرابعة بعد ظهر الثلثاء 2 آب: لا لبنانيين ولا مخيم عين الحلوة. ثلاثة في مقابل ثلاثة. اذا لم انل موافقة حتى منتصف ليل هذا اليوم سأتكلم مع قائد الجيش (العماد جوزف عون) وحزب الله واترك لهما ان يكملا معكم لعبة التفاوض بالنار. عند هذا الحد تنتهي مهمتي.

ردّ المفاوض: كان الحال ماشي، ماذا حصل؟

ردّ: لم يعد عندي كلام. الساعة الثانية عشرة الا ربعا ليلا تتكلم معي او لا اتفاق وتدّبروا الامر مع الجيش وحزب الله.

قبيل منتصف الليل تلقى الرد: نريد اثنتين من النساء عندكم في السجون.

سأله: وماذا بعد؟ ماذا ستفعل؟

قال: الساعة الثانية عشرة نجري التبادل.

سأله: وغدا؟

ردّ: غدا نذهب كلنا.

قال له اللواء ابراهيم: أرسل اليّ تعهدا مكتوبا بذلك.

ارسل اليه على الاثر رسالة خطية.

قال: ارسل اسماء النساء.

ارسل اليه لائحة من سبعة اسماء، مرفقة بعبارة: اختر منها اثنتين.

طلب اللواء ابراهيم من معاونيه العودة الى تلك الاسماء لدى المديرية وتزويده اسماء فتيات لا ملفات عليهن.

جيء اليه بثلاثة اسماء اختار منها اثنتين اوقفهما الامن العام في وقت سابق، وهما سوريتان، بتهمة مناصرة التنظيم الارهابي، تدعيان خولا القصاب وريهام حمدوش.

ارسل اللواء ابراهيم الى مفاوض النصرة يخطره بالفتاتين، الا ان اطلاقهما يحتاج الى بعض الوقت وانجاز اجراءات قضائية ملزمة.

خابر اللواء ابراهيم على الاثر رئيس الحكومة في ما انتهى اليه الاتفاق، ثم تحدّث مع المدعي العام التمييزي القاضي سمير حمود.

سأل الرئيس الحريري: وعين الحلوة؟

اجابه: انتهى امرها.

صباح الاربعاء 2 آب انجز هذا البند من الاتفاق باطلاق الفتاتين اللتين رفضتا الذهاب الى سوريا ورغبتا في الانتقال الى مخيمات عرسال. بعد الظهر كانت حافلات المسلحين وعائلاتهم وبضع آلاف نازحين يغادرون الى الداخل السوري، في وقت تتسلم سوريا في ادلب المقاومين الثلاثة الاسرى، ويصير الى نقلهم الى لبنان مساء الخميس 3 آب، آخر فصول حرب تحرير الجرود.

كيف يلخص اللواء ابراهيم هذا المسار الشاق من التفاوض ونتائج الاتفاق: "استعدنا اسرانا بغض النظر عن انتمائهم الحزبي. هؤلاء لبنانيون. استعدنا شهداءنا واستعدنا ارضنا من دون ادنى ثمن وحمينا السيادة، ناهيك بأننا تخلصنا من قاعدة لوجستية امنية مهمة لتنفيذ اعمال وهجمات ارهابية على الداخل اللبناني. حررنا ارض بلدنا بلا مزيد من الدم، ووضعنا حدا للخسائر البشرية. الباقي كله ربح ولم نخسر شيئا. المفارقة بين الاول من آب 2014 يوم خطفت النصرة عسكريين لبنانيين، وبين الاول من آب 2017 يوم خروجها مهزومة من الاراضي اللبنانية، هو ان الدائرة قد دارت على هذا التنظيم الارهابي وعلى ابومالك التلي وعصابته".

تنفيذ اتفاق الجرود

الصور خاصة بمجلة "الأمن العام"

على الأرض

تعلن المديريّة العامّة للأمن العام
تصميمها المثابرة حتى النهاية.

المديريّة العامّة
للأمن العام